(نتذكر أن) مختارات العقيدة الطحاوية الدرس السادس

- في كتب العقائد أنَّ أهلَ العلم يجعلون أبواب القدر ضمن أبواب الأسماء والصِّفات، وضمن توحيد الرُّبوبيَّة؛ لأنَّ الإيمان بقدر الله -عز وجل- إيمانٌ بعلم الله -عزَّ وَجَلَّ- المطلق لكلِّ شيءٍ بما في ذلك أفعال العباد، وإيمانٌ بكتابته -عزَّ وَجَلَّ- لجميعِ ما قدَّره في اللَّوح المحفوظِ قبل خلقِ السموات والأرض بخمسين ألف سنة، كذلك إيمانٌ بمشيئةِ الله النَّافذة لكلِّ شيءٍ بما في ذلك أفعال العباد، وإيمانٌ بخلقه -عزَّ وَجَلَّ- لكلِّ شيءٍ بما في ذلك أفعال العباد.
- مراتب الإيمان بالقدر: العلم والكتابة والمشيئة والخلق. وهي متعلِّقة بالإيمان بالأسماء والصِّفات، وتتعلق بربوبيَّة الرَّبِّ -تبارك وتعالى- ولهذا يتحدَّثون عن مسائل القدر ضِمن مسائل الأسماء والصِّفات وضِمن توحيد الرُّبوبيَّة، بل إنَّ الإمام أحمد -رحمه الله- لما سُئل مرَّة عن القدر، قال: القدر هو عِلم الله.
- إيمان العبد بعلم الله المطلق لكلِّ شيءٍ هو إيمان بقدر الله -تبارك وتعالى.
- هناك تلازمٌ بين الخلق والعلم، فالخلق يَستلزم العِلم ولابد.
- الأسماء والصِّفات بينها تلازمٌ في دلالتها، فالله -عزَّ وَجَلَّ- هو الخالق لهذا الخلق، وهذا الخلق الحكيم يلزم أن يكون خالقه يعلم كلَّ شيءٍ.
- قوله: **(خَلَقَ الخَلْقَ بعِلْمِهِ)** في هذا ردٌّ على القدريَّة المعطِّلة الذين نَفَوا علم الله -عز وجل- بأفعال العباد، فالقدريَّة الأوائل نَفَوا جميعَ مراتب القدر الأربعة.
- غلاة القدريَّة، وهم أتباع معبد الجهني وغيلان الدِّمشقي، وَحَكَمَ السلف بكفرهم لإنكارهم عِلم الله -عز وجل- ولإنكارهم عموم مشيئة الله وخلقه، وتكذيبهم للقرآن وللسُّنَّة التي جاءت بإثبات هذه المراتب.
- القدريَّة الثَّانية، أثبتوا عِلم الله بأفعال العباد، وأثبتوا الكتابة لها، ولكن زعموا أنَّ أفعال العباد تقع بغير مشيئة الله، وبغير خلق الله -عز وجل- لها، وهؤلاء هم القدريَّة الثَّانية ومنهم المعتزلة.
- الجهميَّة الأوائل يُنكرون هذه الصِّفات، ويُنكرون الأسماء، وجاءت المعتزلة أثبتت الأسماء ولكنَّها أنكرت الصِّفات.
- وردت عبارات عن بعضِ السَّلف ومنهم الشَّافعي أيضًا أنَّه قال: "ناظروا القدريَّة بالعلمِ، فإن أقرُّوا به خُصِموا، وإن جحدوه كفروا".
- علمه -عز وجل- ليس كعلمِ البشرِ يعتريه الخلَلُ والنُّقصُ؛ بل له الكمال المطلق، يعلم الشَّيء الذي لم يقع لو وقع كيف يقع، فإذا كان الله يعلم ما أنت فاعله غدًا، وله الكمال المطلق في كل شيء، فتكون الكتابة هنا مبنيَّةً على العلم والإحاطة، وليست على الجبر ابتداءً، فَعِلمه بما يقع لكماله، ثم كتابته مبنيَّة على هذا العلم، ولا يَلزم مِن كَون الشَّيء مكتوب أنَّ العبد مجبرٌ، فالله يعلم والعبد لا يعلم.
- الإيمان بالقدر هو إيمان بعلم الله، كذلك إيمان بقدرة الله الشَّاملة، وإيمان بمشيئة الله النَّافذة، ولهذا جاء عن الإمام أحمد -رحمه الله- أنه قال: **"القَدَرُ هو قُدرةُ الله"**، فإذا شاء أمرًا قال له كن فيكون.

- التقدير أربعة أنواع كما دلَّت عليه نصوصُ الكتاب والسُّنَّة.
  - **النَّوع الأول: التَّقديرُ العامُّ،** وهو الذي كان في اللَّوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.
  - **النَّوع الثَّاني: التَّقديرُ العُمريُّ،** وهو الذي يكون بعد أن يبلغ الجنينُ مائة وعشرين يومًا.
  - **النَّوع الثَّالث: التَّقدير السَّنوي،** وهذا الذي يكون في ليلةِ القدرِ.
  - **النَّوع الرَّابع: التَّقدير اليومي،** كما دلَّ عليه قوله -تبارك وتعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرَّحمن: 29].
- الأسباب مِن قضاء الله وقدره، وكونه وقع بسبب لا يخرجه عن القضاء والقدر.
- **فهل صلة الرَّحم تزيد في العمر وتزيد في الرزق؟**

الأسباب هي مِن قدر الله، فالدعاء مِن قدر الله، وصلة الرَّحم كذلك، وهكذا جميع الأسباب التي يتخذها المسلم هي من أقدار الله، فكون هذا الشَّيء سببٌ فهذا لا يخرجه عن قدر الله -تبارك وتعالى-.

فنقول: نعم هي مُقدرةٌ والأسباب لها أثرها، وذلك بعلم الله -عز وجل- وبمشيئة الله -عز وجل- فكون صلة الرَّحم سببٌ في زيادة العمر وفي سعة الرزق، فلا يخرج هذا السبب عن قدر الله -تبارك وتعالى.

أهل العلم لهم أجوبة حول مفهوم هذا الحديث، منهم من قال: إنَّ المراد بقوله «يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ» هو: البركة التي تكون في المال، والبركة التي تكون في العمر، فصِلة الرَّحم سبب لبركة الرزق، وكذلك لبركة العمر، وقالوا: إنَّ العبرة ليس بطول الأعمار وإنما العبرة ببركتها.

- قال: (وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ)، **هذه المقادير متى قُدِّرت؟**

قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

- **هل يوجد تعارض وتناقض بين القدر وبين الشرع؟**

أبدًا، فهذا فيه تنبيه على وجوب الإيمان بالشَّرع وامتثال الأمر واجتناب النهي مع الإيمان بالقضاء والقدر، ولا تعارض بينهما؛ لأنَّ القدر مبنيٌّ على كمال الله المطلق، مبنيٌّ على علم الله المطلق، وعلى كتابته -عز وجل- وعلى عموم مشيئته وعموم خلقه، وهذا لا يتعارض مع شرعه.

- الجبريَّة الذين زعموا أنَّ العبد مجبر، مِن لوازم مذهبهم التي تدل على بطلانه، أنَّ الشَّرع لا قيمة له عندهم، إذا كان الإنسان مجبر، **فما الفائدة إذن من إرسال الرسل؟! وإنزال الكتب والأوامر والنواهي؟!**
- الذين ضلوا في باب القدر طوائف، منهم: الجبريَّة الغلاة الذين أثبتوا العلم والكتاب والمشيئة والخلق، ولكنَّهم نفوا المشيئة للعِبَاد، فقالوا: إنَّ العبد مجبر، وضدهم تمامًا القدريَّة الذين نفوا القدر وهم طوائف، ومنهم: المعتزلة الذين جعلوا العبد مستقل بمشيئته ومستقل بأفعاله، لا أثر لمشيئة الله ولا أثر لخلق الله في أفعال العباد.
- والسبب الذي أوقعهم في ضلالهم هذا هو: عدمُ التَّفريقِ بين الإرادتين، الإرادة الكونيَّة والإرادة الشرعيَّة، فتجد أنَّ الجبريَّة غلَّبوا الإرادة الكونيَّة، والقدريَّة غلَّبوا الإرادة الشرعيَّة، وأهل الحقّ جمعوا بين الإرادتين،

فكون الشَّيءِ مرادٌ لله كونًا وقدرًا لا يلزم منه المحبَّة والرّضا، فالإرادة الكونيَّة لابدَّ أن تقع ولا يلزم منها المحبَّة والرّضا، كالمعاصي والشُّرور فهي واقعة بقدر الله ولا يلزم منها المحبَّة والرّضا.

- الإرادة الشرعيَّة المحبوبة لله فلا يلزم منها الوقوع، فأهل الحقِّ فرَّقوا بين الإرادتين، ولهذا فالقدر إرادة كونيَّة، والشَّرع إرادة شرعيَّة.
- قضاء الله نوعان:
  - قضاء كوني: يلزم منه الوقوع.
  - قضاء شرعي: يحبه الله لكن لا يلزم منه الوقوع،
- **فهل بين النَّوعين تعارض؟**

لا تعارض بينهما، فلذلك وقع الضَّلال عند هؤلاء بسبب عدم التَّفريق بين الإرادتين، وبين القضاءين.

- **هل أفعال العباد تخرج عن قدر الله؟**

لا؛ لأنَّ كل شيء يجري بقدرته ومشيئته ،ولهذا لما قالت القدريَّة: إنَّ العبدَ مستقلٌ بأفعاله، ومستقلٌ بمشيئته، فهو يخلق أفعاله؛ وصفهم السَّلف بأنَّهم مجوسُ هذه الأمة.

- **لماذا وصفوهم بأنَّهم مجوس؟**

للتَّشابه بينهم وبين المجوس، فالمجوس وهم الثَّنويَّة يزعمون أنَّ للكون خالقين، النُّور خالق الخير، والظُّلمة خالق الشر. بينما المعتزلة القدريَّة جعلوا كلَّ عبدٍ خالقٌ لأفعاله، بل المجوس عندهم للكون خالقين، والمعتزلة عندهم كل عبد يخلق أفعاله، ولهذا رَدَّ عليهم السلف بالكتب التي سموها: "خلق أفعال العباد" فأفعال العباد مِن خَلق الله -تبارك وتعالى. ولهذا قال: (وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِقُدرتِهِ ومَشِيئَة).

- **هل يفهم من الإيمان بالقدر أنَّ العباد ليس لهم مشيئة؟**

لا.

- **ما الدَّليل على أنَّ العبد له مشيئة؟**

الدَّليل قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: 30].

- أهل السُّنة كما يستدلِّون بالشَّرع يستدلّون بالعقل، فمن جهة العقل ، **هل العبد له مشيئة؟ أو مسلوب المشيئة كما زعمت الجبريَّة؟**

من جهة العقل: الإنسان له مشيئة، والإنسان يُفرِّق بين الأشياء التي تقع بمشيئته، والتي تقع بغير مشيئته، وما يقع بغير مشيئته خارجٌ عن مناط التَّكليف، ولا يُلام عليه، وهذا يسمُّونه الإكراه الملجِئ، أمَّا ما وقع بمشيئته فيحاسب عليه؛ لأنَّه هو الذي اختار هذا الشَّيء،فالعبد له مشيئة من جهة الشَّرع ومن جهة العقل.

- **هل مشيئة العبد تخرج عن مشيئة الله؟**

أبدًا، لذلك لاحظوا الإشكال الذي وقع فيه القدريَّة والجبريَّة، فهم وقعوا بين طرفي نقيض.

الجبريَّة غلَّبت مشيئة الرَّبِّ ونفت مشيئة العباد، وهذا غير صحيح شرعًا ولا عقلًا، وجاءت القدريَّة عكسهم، فغلَّبت مشيئة العبد وأخرجتها عن مشيئة الله، فجعلت هناك مَن يُصرِّف الكون مع الله -تبارك وتعالى- فوقعت في الشِّرك الذي وقع فيه المجوس، وأهل الحق جمعوا بين المشيئتين.

- **هل بين المشيئتين تناقض؟**

أبدًا، ولهذا أهل الحقّ جمعوا بين المشيئتين كما جاء في نفس الآية.

- المعطِّلة في باب الصِّفاتِ نظروا إلى الشَّطرِ الأوَّلِ في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فنفوا، ولم ينظروا إلى الصِّفات في قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.
- أمَّا المشبِّهة والمجسِّمة نظروا للشَّطرِ الثَّاني، ففهموا من الإثبات: التَّمثيل والتَّشبيه والتَّجسيد. أمَّا أهل الحق فقد أثبتوا إثباتًا مِن غيرِ تمثيلٍ، ونزَّهوا تنزيهًا مِن غَيرِ تعطيلٍ.
- في هذه الآية: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ جاءت القدريَّة فأخذت بالشَّطرِ الأوَّلِ، فغلَّبت مشيئة العبد وأنَّ العبد يشاء استقلالًا، وجاءت الجبريَّة فغلَّبت مشيئةُ الرَّبِّ وألغت مشيئة العبدِ، وأهلُ الحقّ جمعوا بين المشيئتين.
- **إذا حصَلَت لك النعم فتنسبها إلى مَن؟**

إلى المنعم المتفضل، لا إلى نفسك وذكائك واجتهادك؛ لأنَّك ما شئت إلا لَمَّا شاء الله، وإلا قد يكون هناك مَن هو أذكى منك، ولكن ما تيسرت له الأمور التي تيسرت لك.

- هذه الآية، وهي قوله -تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فيها رد على الجبريَّة، **أين الرد؟**

إثبات المشيئة للعباد،وفيها رد على القدريَّة، في أن مشيئة العباد تحت مشيئة الله -تبارك وتعالى.

- الجبريَّة فيهم شبه بأهل الجاهليَّة، كما أنَّ المعتزلة القدريَّة فيهم شبه بالمجوس.
- كلُّ مَن أمرته بالطاعة ونهيته عن المعصية فاحتجَّ عليك بالقدر فهذه عقيدة الجبريَّة.
- **هل فعلًا هذه الشرور وقعت بمشيئة الله أو بغير مشيئة الله؟**

وقعت بمشيئة الله.

- الذي يحتج بالقدر على المعاصي، يُرد عليه بالشَّرع، ويرد عليه كذلك بالعقل، بأنك أنت الذي فعلت، ويُرد عليه: أنَّه **في أموره الدنيوية هل يحتجُّ بالقدر؟** أبدًا، فنقول: لماذا في أمور الدنيا لا تحتجُّ بالقدر، وفي أمور الآخرة خاصَّة فيما يتعلق بالأوامر والنَّواهي تحتجُّ بالقدر؟

فاحتجاجك باطل، ثم احتجاجك بالقدر احتجاجٌ بما لا تعلم به؛

لأنَّ الإنسان لا يعلم بالقدر إلا بعد الوقوع، ثم الإنسان يحسن الظَّن ويأخذ بالأسباب، ويمتثل الأمر ويجتنب النَّهي، ويحسن الظَّن بربه -تبارك وتعالى.

- **ما حكم البحث في مسائل القضاء والقدر؟**

الجواب: البحثُ فيما دلَّ عليه الدَّليل لا بأس به، وهذا مِن الإيمان بالقدر، فلا يمكن لإنسان أن يؤمن به على جهة الإجمال والتَّفصيل إلا بمعرفة هذه المسائل، أمَّا فيما لا يدلُّ عليه الدَّليل، فهذا الذي فيه النَّهي.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.